

سيف «الضم» لم يرجع لغمده بعد!

عريب الرنتاوي



الخميس 2 يوليو 2020 03:41 م

سيف «الضم» لم يرجع لغمده بعد

بدل أن يكون التأجيل فرصة تنتياهو لترتيب أوراقه علينا أن نجعله فرصة لاستكمال استعدادات لم نتخذها بعد. فلنتصرف «كأن الضم حاصلٌ غداً».. مقاطعة بكل أشكالها واستمرار التحلل من الاتفاقات واستعداد لمواجهة مرحلة ساخنة. ينبغي ملاحقة إسرائيل ومطاردتها سياسياً ودبلوماسياً وحقوقياً وتصعيد المقاومة الشعبية وحشد المواقف الإقليمية والدولية.

* * *

سيف «الضم» ما زال مسلطاً على رقاب الفلسطينيين، بل ويكاد يلامس عظام رقابهم... لا يتعين على أحدٍ منهم أن يسترخي أو أن يستريح، فالمعركة ضد «الضم»، والاحتلال والعنصرية استتباعاً، ما زالت في أوجها، ومشوار الحرية والكرامة واسترداد الحقوق، ما زال طويلاً.

إسرائيل مرتبكة، ف«اللقمة» التي هي بصدد ابتلاعها كبيرة جداً، وهي تخشى أن تختنق بها، لكنها مع ذلك، لن تكف عن المحاولة، ربما تعمل على تجزئتها إلى مجموعة من «اللقيمات» التي يسهل هضمها دون التسبب بعسر هضم وآلام في المعدة والأحشاء...

بعض ارتباكها داخلي، ويتصل حصراً بكيفية ابتلاع هذه اللقمة، دفعة واحدة أم على دفعات، الآن أم بعد قليل... بعض ارتباكها، رجع صدى لارتباك رعاتها في واشنطن، إدارة اليمين الإنجيلي «الشعبي».

لكنها في جميع الحالات، مرتبكة، وما طوفان «الخرائط»، خرائط الضم، الذي أطلقتته، سوى بعض من دلائل هذا الارتباك، وربما يكون محاولة لإرباكنا نحن أو حتى دفعنا للمفاضلة فيما بينها: أيهما أقل إضراراً بحقوق الفلسطينيين وتطلعاتها؟

عوامل رئيسة ثلاثة أسهمت بخلق حالة الارتباك في تل أبيب وواشنطن:

1. الموقف الفلسطيني الرفض لصفقة القرن وتجلياتها (الضم)، وهو موقف تصاعد مؤخراً، وأخذ منحى جدياً غير مسبوق.
2. الموقف الأردني الصلب في رفض الصفقة، جاء معززاً ومكماً للموقف الفلسطيني، ورافعة لمواقف عواصم عربية، ومحركاً لمواقف عواصم أوروبية عدة، وسبباً في انقسامات داخل إسرائيل والولايات المتحدة.
3. الموقف الدولي الرفض للصفقة والضم، وتحديداً الموقف الأوروبي الذي تطور بدوره على نحو غير مسبوق، وإن لم يكن غير كافٍ حتى الآن. «تنتياهو في مواجهة العالم»، هكذا لخصت هارتس المشهد.

الضم، قد يأتي «رمزياً» وقد يتأجل، هذا ليس سبباً كافياً للاطمئنان ولا مبرراً للاحتفال...تنتياهو ما زال يمسك بخيوط اللعبة في إسرائيل، وليس ثمة من أسباب للتشكيك في متانة علاقاته بالبيت الأبيض و«آل ترامب» و«صحبه أجمعين»، وتحديداً سفيره إلى إسرائيل، المستوطن من «بيت إيل».

الرجل معروف بقدرته على المناورة، والالتفاف حول العوائق والعراقيل. لن يدخر وسعاً لتهميش مجادلبيه من غانتس إلى أشكنازي ومن على يمينهما ويسارهما.

لن يدع «فرصة ترامب» في البيت الأبيض تمر دون اقتناصها... سيمضي ننتياهو إلى مشروعه في كتابة إرثه الشخصي: «ضم يهودا والسامرة»، أو أجزاء واسعة منها على الأقل.

في تجربة المئة عام من الصراع مع المشروع الصهيوني وإسرائيل تعلمنا أن «الجزئي» أو «الرمزي» يصبح شاملاً، و«المؤقت» سرعان ما يتحول إلى «دائم». هكذا تسلل المشروع إلى قلب منطقتنا، وهكذا نشأت إسرائيل وتوسعت!

الوسيلة ليست مهمة، فالغاية تبررها في مطلق الأحوال. اقرأوا المؤرخ الإسرائيلي إيلان بابيه لتتعرفوا على دور «الجزرة» التأسيسي لهذا المشروع، ولتتبعوا مراحل «التطهير العرقي» التي بدأتها العصابات الصهيونية وأكملها «جيش الدفاع»، وتحت قيادة أشكنازية - يسارية - غربية المنشأ، وعلمانية!

فما بالكم اليوم، وإسرائيل ترزح تحت نير قيادة يمينية-دينية متخلفة، خطابها «توراتي» بامتياز، وبعضها ليس سوى «داعش معكوساً»... الطمأنينة جرم، و«الحس بالانتصار» خديعة.

فأكثر الحيوانات المفترسة شراسة، تتراجع خطوة إلى الوراء قبل أن تنقض كالسهم على فريستها، هكذا هو حالنا مع ننتياهو وحكومته وائتلافه.

فالحذر...الحذر! وعلينا أن نتصرف و«كأن الضم حاصلٌ غداً»، لا شيء ينبغي أن يتغير على برامج عملنا: ملاحقة إسرائيل ومطاردتها سياسياً ودبلوماسياً وحقوقياً، تصعيد المقاومة الشعبية، حشد المواقف الإقليمية والدولية، المقاطعة بكل أشكالها، استمرار التحلل من الاتفاقات، الاستعداد لمواجهة مرحلة شديدة السخونة...

وبدل أن يكون التأجيل (الذي لا نعرف إلى متى سيستمر) فرصة لننتياهو لترتيب أوراقه، علينا أن نجعل منه، فرصة لاستكمال الاستعدادات التي لم نتخذها بعد.

* عريب الرنتاوي كاتب صحفي أردني.